الفصل الثالث
المراحل التي مرت بها الشيعة الرافضة

مرت الشيعة الرافضة في نشأتها بعدة مراحل، حتى أصبحت فرقة مستقلة متميزة بعقيدتها واسمها عن سائر فرق الأمة.

ويمكن إبراز ذلك من خلال أربع مراحل رئيسية:

1 – المرحلة الأولى:

دعوة عبد الله بن سبأ إلى ما دعا إليه من الأصول التي انبنت عليها عقيدة الرافضة، كدعوته لعقيدة الرجعة، وإحداثه القول بالوصية لعلي رضي الله عنه، والطعن في الخلفاء السابقين لعلي في الخلافة، وقد ساعد ابن سبأ في ترويج فكره الضال البعيد عن روح الإسلام أمران:

(أ) اختيار ابن سبأ البيئة المناسبة لدعوته، حيث بث دعوته في بلدان مصر، والعراق، بعد أن أكثر التنقل بين هذه الأمصار، كما مر في كلام الطبري [1]، فنشأت هذه الدعوة في مجتمعات لم تتمكن من فهم الإسلام الفهم الصحيح، وتترسخ أقدامها في العلم الشرعي والفقه بدين الله تعالى، وذلك لقرب عهدها بالإسلام، فإن تلك الأمصار إنما فتحت في عهد عمر رضي الله عنه، هذا بالإضافة إلى بعدها عن مجتمع الصحابة في الحجاز وعدم التفقه والتتلمذ والتربية على أيديهم.

(ب) إن ابن سبأ مع اختياره لدعوته تلك المجتمعات، فإنه زيادة في المكر والخديعة، أحاط دعوته بستار من التكتم والسرية، فلم تكن دعوته موجهة لكل أحد، وإنما لمن علم أنهم أهل لقبولها من جهلة الناس، وأصحاب الأغراض الخبيثة، ممن لم يدخلوا في الإسلام إلا كيداً لأهله بعد أن قوضت جيوش الإسلام عروش ملوكهم، ومزقت ممالكهم، وقد تقدم كلام الطبري السابق عن ابن سبأ: فبث دعاته، وكاتب من كان استفسده في الأمصار، وكاتبوه، ودعوا في السر إلى ما عليه رأيهم [2]، يقول في سياق وصفهم: وأوسعوا في الأرض إذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون [3].

---

(1) تاريخ الطبري (347/5).
(2) تاريخ الطبري (347/5).
(3) المصدر نفسه (348/5).

2 – المرحلة الثانية:

إظهار هذا المعتقد والتصريح به، وذلك بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وانشغال الصحابة رضوان الله عليهم بإخماد الفتنة التي حصلت بمقتله، فوجد هؤلاء الضلال متنفساً في تلك الظروف، وقويت تلك العقائد الفاسدة في نفوسهم، إلا أنه مع كل ذلك بقيت هذه العقائد محصورة في طائفة مخصوصة، ممن أصلهم ابن سبأ، وليست لهم شوكة ولا كلمة مسموعة عند أحد سوى من ابتلي بمصيبتهم في مقتل عثمان رضي الله عنه، وشاركهم في دمه من الخوارج المارقين، ومما يدل على ذلك ما نقله الطبري: وتكلم ابن السوداء فقال: يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم [1]. وهذا القول لا يقوله صاحب شوكة ومنعة، ومع هذا فإنه لا ينكر دور هؤلاء السبئية وقتلة عثمان في إشعال نار الحرب بين الصحابة، بل ذلك مقرر عند أهل التحقيق للفتنة وأحداثها، يقول ابن حزم مقرراً ذلك: وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا، فلما كان الليل عرف قتلة عثمان الإراعة والتدبير عليهم، فبيتوا عسكر طلحة والزبير، وبذلوا السيوف فيهم، فدافع القوم عن أنفسهم [2].

3 – المرحلة الثالثة:

اشتداد أمرهم وقوتهم واجتماعهم تحت قيادة واحدة وذلك بعد مقتل الحسين رضي الله عنه للأخذ بثأر الحسين والانتقام له من أعدائه، يقول الطبري في حوادث سنة أربع وستين للهجرة: وفي هذه السنة تحركت الشيعة بالكوفة، وأعدوا الاجتماع بالنخيلة سنة خمس وستين للمسير لأهل الشام للطلب بدم الحسين بن علي، وتكاتبوا في ذلك [3].

وكان مبدأ أمرهم ما ذكره الطبري من رواية عبد الله بن عوف بن الأحمر الأزدي أنه قال: لما قتل الحسين بن علي ورجع ابن زياد من معسكره بالنخيلة، فدخل الكوفة، تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت أنها قد أخطأت خطأ كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، وقتله إلى جانبهم دون أن ينصروه، ورأوا أنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله، أو القتل فيه، ففزعوا بالكوفة إلى خمسة نفر من رؤوس الشيعة: إلى سليمان بن صرد الخزاعي، وكانت له صحبة مع النبي ﷺ، وإلي

---

(1) المصدر نفسه (526/5).
(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل (239/4).
(3) تاريخ الطبري (487/6، 501).

المسيب بن نجية الفزاري، وكان من أصحاب علي وخيارهم، وإلي عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدى، وإلي عبد الله بن وائل التيمي، وإلي رفاعة بن شداد البجلي، ثم إن هؤلاء النفر الخمسة اجتمعوا في منزل سليمان بن صرد وكانوا من خيار أصحاب علي، ومعهم أناس من الشيعة وخيارهم ووجوههم [1]، وكان هذا الاجتماع عاماً يشمل كافة الشيعة، وقد اجتمع إلى سليمان بن صرد نحو من سبعة عشر ألفاً، ثم لم تعجب سليمان قلتهم، فأرسل حكيم بن منقذ فنادي في الكوفة، وخرج الناس معهم فكانوا قريباً من عشرين ألفاً [2]، ثم إنه في هذه الأثناء قدم المختار بن أبي عبيد الثقفي إلى الكوفة فوجد الشيعة قد التفت على سليمان بن صرد وعظموه تعظيماً زائداً، وهم معدون للحرب، فلما استقر المختار عندهم بالكوفة دعا إلى إمامة المهدي محمد بن علي بن أبي طالب وهو محمد ابن الحنفية، ولقبه بالمهدي فاتبعه على ذلك كثير من الشيعة، وفارقوا سليمان بن صرد، وصارت الشيعة فرقتين، الجمهور منهم مع سليمان، يريدون الخروج على الناس ليأخذوا بثأر الحسين، وفرقة أخري مع المختار يريدون الخروج للدعوة إلى إمامة محمد ابن الحنفية، وذلك عن غير أمر ابن الحنفية، وإنما يتقولون عليه ليروجوا على الناس به، وليتوصلوا إلى أغراضهم الفاسدة [3].

فكان هذا بداية اجتماع الشيعة، ثم يذكر المؤرخون خروج سليمان بن صرد بمن كان معه من الشيعة إلى الشام، فالتقوا مع أهل الشام عند عين تسمي عين الوردة واقتتلوا قتالاً عظيماً لمدة ثلاثة أيام.

يقول ابن كثير رحمه الله: لم ير الشيب والمرد مثله لا يحجز بينهم إلا أوقات الصلوات إلى الليل [4]، ثم انتهي القتال بينهم بقتل سليمان بن صرد رحمه الله وكثير من أصحابه، وهزيمتهم، وعودة من بقي من أصحابه إلى الكوفة [5]، وأما المختار بن أبي عبيد الثقفي فلما رجع من بقي من جيش سليمان إلى الكوفة وأخبروه بما كان من أمرهم، وما حل بهم فترحم على سليمان ومن كان قتل معه، وقال: وبعد، فأنا الأمير المأمون قاتل الجبارين والمفسدين، إن شاء الله، فأعدوا واستعدوا وأبشروا [6].

---

(1) تاريخ الطبري (487/6، 501).
(2) البداية والنهاية (254/8).
(3) المصدر نفسه (254/8).
(4) البداية والنهاية (257/8)
(5) المصدر نفسه (256/8، 257).
(6) المصدر نفسه (258/8).

يقول ابن كثير – رحمه الله: وقد كان قبل قدومهم أخبر الناس بهلاكهم عن وحيه الذي كان يأتي إليه من الشيطان، فإنه قد كان يأتي شيطان فيوحي إليه قريباً مما كان يوحى شيطان مسيلمة له [1]، ثم إن المختار بعث الأمر إلى النواحى والبلدان، والرساتيق من أرض العراق وخراسان وعقد الألوية والرايات... ثم شرع المختار بتتبع قتلة الحسين من شريف ووضيع فيقتله [2].

4 – المرحلة الرابعة:

انشقاق الشيعة الرافضة عن الزيدية، وباقى فرق الشيعة، وتميزها بمسماها وعقيدتها، وكان ذلك على وجه التحديد فى سنة إحدى وعشرين ومئة عندما خرج زيد بن على بن الحسين على هشام بن عبد الملك [3]، فأظهر بعض من كان فى جيشه من الشيعة الطعن على أبى بكر وعمر فمنعهم من ذلك، وأنكر عليهم فرفضوه، فسموا بالرافضة، وسميت الطائفة الباقية معه بالزيدية [4].

يقول ابن تيمية – رحمه الله :

إن أول ما عرف لفظ الرافضة فى الإسلام، عند خروج زيد بن على فى أوائل المئة الثانية، فسئل عن أبى بكر وعمر رضى الله عنه فتولاهما، فرفضه قوم فسموا رافضة [5]، وقال: ومن زمن خروج زيد افترقت الشيعة إلى رافضة وزيدية، فإنه لما سئل عن أبى بكر وعمر فترحم عليهما رفضه قوم فقال لهم: رفضتمونى، فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمى من لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه [6]، ومنذ ذلك التاريخ تميزت الرافضة عن باقى فرق الشيعة، فأصبحت فرقة مستقلة باسمها ومعتقدها [7]، والله تعالى أعلم.

هذا وقد تحدث علماء الفرق عن الفرق المنسوبة للشيعة، فذكروا منها:

السبئية، والغرابية، والبياتية، والمغيرية، والهاشمية، والخطابية، والعلبائية، والكيسانية،

---

(1) المصدر نفسه (8 / 257).
(2) المصدر نفسه (8 / 271).
(3) تاريخ الطبرى (7 / 160)، الانتصار للصحب والآل، ص 47.
(4) الانتصار للصحب والآل، ص 47.
(5) مجموع الفتاوى (36/13).
(6) منهاج السنة (35/1).
(7) الانتصار للصحب والآل ص48.

والزيدية الجارودية، والسليمانية، والصالحية، والبترية، وبعض هذه الفرق غالت غلواً عظيماً، والبعض الآخر أقل غلواً، ومن أراد الاستزادة فليراجع مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، والملل والنحل للشهرستانى، والفرق بين الفرق لأبي الظاهر البغدادي، وفرق معاصرة للدكتور غالب بن على عواجى وهو من أفضل من اطلعت عليه من المعاصرين.

* * *